



كان متوقفاً على قوة الجيش ومدى مقارنته للأعداء من الإسبان في الشمال، أو
المتربين في داخل الولاية.

وبذلك أصبح الاهتمام بالجيش - وهو جيش غير نظامي قائم على إمداد القبائل العربية والبربرية حكومة الوالي بالرجال عند الجهاد - وتنظيم رجاله من أولى الأعمال المهمة التي يقوم بها والي الأندلس، فنرى مثلاً اهتمام عبد الرحمن الغافقي في ولايته الثانية بالجيش، وعني بإصلاحه وتنظيمه، وأنشأ فرقاً قوية مختارة من فرسان البربر بإشراف نخبة من ضباط العرب^(١٦٩). وهذا ما مكّنه من قيادة الجيش عبر الأراضي الفرنسية فكانت موقعة بلاط الشهداء المعروفة عام ١١٤١هـ.

ومن الأمور الأخرى التي يمكن ملاحظتها خلال عصر الولاة، أن الولاة الذين حكموا الأندلس بعد معركة بلاط الشهداء عام ١١٤١هـ، يصطحبون معهم جيش منتخباً من جند أفريقيا لتعزيز حكمهم أولاً، ولإخماد حركات التمرد في الشمال الإسباني ثانياً. والظاهرة الأخرى التي برزت في عصر الولاة، هي قيام الكور المجنّدة، وهي الأماكن التي وزع فيها الجيش الشامي (جيش بلج بن بشر القشيري)، بعد أن لعب الوالي بلج دوراً كبيراً في أحداث ولاية الأندلس المعروفة، وفي عهد الوالي أبي الخطار حسام بن ضرار الكلبي (١٢٥ - ١٢٧هـ) فرق الجند الشامي في الكور مقابل أن يؤديوا خدمة عسكرية^(١٧٠)، وقد حرص الوالي أبو الخطار في هذا التوزيع على أن تكون الكور التي ينزلون بها متشابهة إلى حد كبير للأماكن التي جاءوا منها من المشرق، ولعل ذلك محاولة من هذا الوالي لبعثرة طاقاتهم بعد أن رأى خطرهم يكمن في وجودهم بمنطقة واحدة^(١٧١). فأنزل أهل حمص في مدينة إشبيلية، وأهل دمشق أنزلهم غرناطة، وأهل الأردن أنزلهم مالقة، وأهل مصر أنزلهم مرسية (تدمير)، وأهل قنسرين أنزلهم جيان، وفرض على كل قبيلة أن تنجبي غلة تلك الناحية التي نزلت فيها، وتأخذ عطاءها منها والزيادة لبيت المال^(١٧٢). وتمهدت حكومة الولاية بعدم التدخل في شؤونهم أو شؤون الإقليم^(١٧٣).

وما يلاحظ كذلك في عصر الولاة، أن قادة جيوش الشغور زجوا أنفسهم في

(١٦٩) حنان، دولة الإسلام، ج ١، ص ٨٥.

(١٧٠) بدر، دراسات، ج ١، ص ٥٩.

(١٧١) بيشون، الدولة العربية، ص ١٢٥.

(١٧٢) بنظر، ابن الآبار، الحلة السيرة، ج ١، ص ٦١ - ٦٢ - ابن القوطية، تاريخ، ص ٤٥ -

الحميري، الروض المعطار، ص ١٨١ - ابن الخطيب، الإحاطة، ج ١، ص ١٠٩.

(١٧٣) مؤنس، فجر الأندلس، ص ٢٢١، ص ٥١١ - ٥١٢.

العاصمة فكانت تختار الرقم قياساً لغزائرها، ويحشد أبناؤها بطريق التطوع خلافاً لأهل النواحي الأخرى. وكانت هذه الفرق تسمى بفرق الفرسان المستنفرين الذين يجري استنفارهم أوقات الصوائف، أو كلما بدرت من العدو حركة اعتداء على أهل الثغور، ويضاف إلى هذه الفرق حشود المتطوعين في سبيل الله. وبذلك ندرك مدى حجم جيش الأندلس خلال هذه الفترة، والذي كان هذا الأمير دائماً يقود الجيش إلى أرض العدو ويمكث فيها أكثر من ستة أشهر⁽¹⁸⁶⁾.

ويلاحظ في عصر الإمارة أنها اعتمدت على قادة عسكريين مشهورين يتمون إلى أسر أندلسية معروفة، فكان لهم دور كبير في قمع الفتن الداخلية أولاً، ولهم الدور نفسه في محاربة الممالك الإسبانية ثانياً. فمثلاً أسرة ابن أبي عبدة، اشتهر رجالها في إخماد حركات التمرد وبخاصة في عهد الأمير عبد الله (275 - 300هـ) التي عجت الأندلس بحركات المتمردين، فتصدى رجالها لهذه الحركات التي كان من أشهرها حركة عمر بن حفصون وإبراهيم بن حجاج، واشتهر في هذه الأسرة أبو العباس أحمد بن محمد أبي عبدة الوزير وأولاده عباس وعيسى. فقد اعتمد هذا القائد بالدرجة الأولى على نخبة مختارة من رجاله يبلغ عددهم ثلاثمائة فارس يعتمد عليهم في حروبه، من مجموع جيشه الذي استكثر فيه الرجال وشجعان أهل الثغور، وابتاع العبيد حتى بلغ عدد جيشه خمسة آلاف فارس عدا المشاة⁽¹⁸⁷⁾.

كما اشتهرت هذه الأسرة في مجاهدة الممالك الإسبانية، وأحرز أفرادها النصر في كثير من المعارك⁽¹⁸⁸⁾، واستشهد بعض رجالها في معارك الجهاد أمثال الوزير أبي العباس أحمد بن محمد بن أبي عبدة⁽¹⁸⁹⁾. كما كان لها دور بارز في صد هجوم النورمان على الأندلس عام 245هـ في أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن (238 - 273هـ)⁽¹⁹⁰⁾.

وأ أسرة مغيث الرومي أيضاً اشتهرت بحروب الجهاد ضد الممالك الإسبانية واشتهر

(186) ينظر، ابن عذاري، ج 2، ص 111 - عنان، دولة الإسلام، ج 1، ص 311.

(187) ينظر، ابن القوطية، تاريخ، ص 107 - 108 - ابن حيان، المقتبس، ج 3، ص 129.

(188) ينظر، ابن حيان، المقتبس، ج 2، ص 319 - 320 - ابن عذاري، البيان، ج 2، ص 98 - 99 - النويري، نهاية الأدب، ج 22، ص 55.

(189) ينظر، ابن حيان، المقتبس، ج 5، ص 135 - 136 - السامرائي، الثغر الأعلى، ص 222.

(190) ينظر، ابن حيان، المقتبس، ج 2، ص 308 - العذري، نصوص عن الأندلس، ص 118.

وإنما كان الأمير هشام 172 - 180 هـ قد اهتم بالجيش، وهياه لمعارك الجهاد، إلا أن في الوقت نفسه رتب في ديوان الجند أرزاقاً لأسر الشهداء، كما افتدى أسرى المسلمين ولم يبق في عهده منهم أحد في قبضة العدو⁽¹⁸¹⁾. ولكن نرى الأمير الحكم (180 - 206 هـ) يستكثر الموالي والحشم في الجيش، وأنشأ الحرس الخاص، وفي عهده أكثر من جلب الصقالبة، وكان هؤلاء الصقالبة على الأغلب من الرقيق والخصيان الذين يؤتى بهم من بلاد الفرنج وحوض نهر الدانوب وغيرها، وكان يؤتى بهم أطفالاً من الجنسين ويربون تربية إسلامية، ثم يدربون على أعمال الفروسية والإدارة، وتولوا مناصب مهمة، وبلغ عددهم في عهد الحكم زهاء خمسة آلاف⁽¹⁸²⁾. وكان للحكم فرقة من الحرس الخاصة معظمهم من فيء أربونة ورثهم عن والده هشام، وقد أبلوا في الدفاع عنه يوم الرض أحسن البلاء. وكانت للحكم ألفا فرس من الجياد الصافنات مرتبطة على شاطئ النهر تجاه القصر، ويشرف عليها جماعة من العرفاء الجينيين⁽¹⁸³⁾. ومعنى هذا أن الأمير الحكم أسس فرقاً من الجيش النظامي وخاصة بعد فشل ثورة الرض عام 202 هـ التي قام بها الفقهاء ضده، والتي كادت تطيح بعرشه، فكان لنفسه فرقة من الحرس الخاص عرفوا باسم الصقالبة، وسموا أيضاً الخرس لعجمة ألسنتهم⁽¹⁸⁴⁾. واستمر أمراء الأندلس من إكثار الموالي والصقالبة وجعلهم حرساً خاصاً لهم، فقد اصطفى الأمير عبد الرحمن الأوسط مثلاً خمسة آلاف مملوك، ثلاثة آلاف فارس يرابطون إزاء باب القصر فوق الرصيف، وألفا رجل على أبواب القصر المختلفة⁽¹⁸⁵⁾. واهتم الأمير محمد بتقوية الجيش وذلك نتيجة الظروف الصعبة التي مرت بها الأندلس في عهده، وتلقي الأرقام عن عدد الفرسان الذين يحشدون في مختلف الكور والمدن لغزوات الصوائف، ضوءاً على مدى قوة الجيش الأندلسي في عهده، فكورة غرناطة (2900)، وجيان (2200)، وقبره (1800)، وباغه (900)، موتاكرا (269) والجزيرة (290) وأستجة (1200)، وقرمونة (185)، وشذونة (6790)، ورية (2607)، وشريش (342) وفحص البلوط (400)، ومورور (1403)، وتدمير (200)، أما قرطبة

(181) مجهول، أخبار مجموعة، ص 120 - عنان، دولة الإسلام، ج 1، ص 229.

(182) ابن الأثير، الكامل، ج 6، ص 128 - المقري، نفع، ج 1، ص 159.

(183) مجهول، أخبار مجموعة، ص 129 - ابن عذاري، البيان، ج 2، ص 79.

(184) ابن خلدون، العبر، ج 4، ص 277 - السامرائي «التعبئة العسكرية»، ص 40.

(185) عنان، دولة الإسلام، ج 1، ص 277.

الحوانيت من أجل التوسيع، وكذلك كلفه بنقل دار البرد من غربي قرطبة إلى دار الزوامل التي بالمصاراة من طرف قرطبة. وكلف أيضاً بقضاء كررة جيان⁽¹²³⁾. وشارك أصحاب الشرطة أيضاً في عصر الحكم المستنصر في عمليات الجهاد حيث خرجوا عام 364هـ مع جيش الصائفة⁽¹²⁴⁾. وكان صاحب الشرطة أحياناً هو قائد الجيش في بعض الولايات الأندلسية، حيث يكلفه الخليفة في بعض المهام، كما هو حال صاحب الشرطة العليا وقائد بلنسية وطرطوشة هشام بن محمد بن عثمان⁽¹²⁵⁾. (وفي عام 361هـ أعطى الخليفة الحكم الشرطة الوسطى لمحمد بن أبي عامر وجعله أيضاً قاضي القضاة⁽¹²⁶⁾). وكان الخليفة الحكم يعهد لصاحب الشرطة والسوق بأعمال البر كتوزيع الأموال على الفقراء والمساكين⁽¹²⁷⁾.

ومارس صاحب الشرطة بعض المهام الدبلوماسية، ففي عام 360هـ كلف الخليفة الحكم صاحب الشرطة هشام بن محمد بن عثمان وقائد طرطوشة وبلنسية أن يصحب الوفود الإسبانية الوافدة إلى العاصمة، وربما كان ذلك لقرب منطقة عمله من الممالك الإسبانية⁽¹²⁸⁾.

وتخبرنا بعض النصوص أن وظيفة صاحب الشرطة وصاحب المدينة كانت تجمع في وظيفة واحدة أحياناً في عهد الخليفة هشام المؤيد، حيث جمعت لمحمد بن أبي عامر⁽¹²⁹⁾، الذي عم في زمنه الأمن في مدينة قرطبة⁽¹³⁰⁾. وتولى خطة الشرطة بعض العلماء والفقهاء في فترة الحجابة أمثال سعيد بن أحمد بن حدير الذي تولى الشرطة في بداية عهد هشام المؤيد⁽¹³¹⁾. والأديب أحمد بن أبان المتوفى عام (382هـ)⁽¹³²⁾، وغيرهم.

(123) ابن الفرضي، تاريخ، ترجمة رقم 167 - ابن حيان، المقتبس، تح الحجي، ص 66، ص 71.

(124) ابن حيان، المقتبس، تح الحجي، ص 216.

(125) أيضاً، ص 47 - 48.

(126) ابن علقاري، البيان، ج 2، ص 247.

(127) ابن حيان، المقتبس، ص 77.

(128) ابن حيان، المقتبس، ص 20 - 21 - خلاف، «صاحب الشرطة»، ص 70.

(129) ابن علقاري، البيان، ج 2، ص 266 - المقرئ، نفع، ج 4، ص 88.

(130) أيضاً، ج 2، ص 266 - خلاف، «صاحب الشرطة»، ص 70 - 71.

(131) ابن الفرضي، تاريخ، ترجمة رقم 190.

(132) أيضاً ترجمة رقم 531 - ابن بشكوال، الصلة، ترجمة رقم 6.

أما في الأندلس، فقد انشغل واليها بالتهيؤ لإخضاع المتمردين في سرقسطة، فأمر في عام 137هـ/754 - 755م باستدعاء الجند من الكور، وأرسل في طلب كل من أبي عثمان وعبد الله بن خالد لحث موالي بني أمية على الالتحاق بالحملة المتوجهة لقتال المتمردين، ولم يكن زعيما الموالي يرغبان بمساعدة يوسف الفهري، فأخبراه بعدم إمكانية جماعتهم للمساهمة في الحملة بسبب المجاعة المستمرة في البلاد، ولأن معظم من كان لديه القدرة على المساهمة، سبق أن شارك في حملة الانقاذ التي توجهت لنجدة الصميل في سرقسطة، وهم منهكون بسبب تلك الرحلة الشتوية الشاقة. وقد قدم لهما يوسف مبلغ ألف دينار لتوزيعها على أتباعهم، لكنهما رفضا أخذ المبلغ نظراً لقلته بالنسبة إلى خمسمئة رجل من الموالي. وبعد أن غادرا الوالي، فكرا في أمر المال وإمكانية استخدامه في تسهيل قضية عبد الرحمن بن معاوية، فرجعا وأخذوا ألف دينار. ثم وزعا قسماً من هذا المال على أتباعهما، دون مطالبتهما بالالتحاق بجيش يوسف واحتفظا بالبقية لوقت الحاجة. وفي ذي الحجة 137هـ/نيسان - أيار 755م عسكر يوسف الفهري في (مخاضة الفتح) بالقرب من جيان لاستكمال التجميع النهائي لجيشه، وتوزيع الأعطيات على الجنود. وعندما سأل عن الموالي، أجابه أبو عثمان بإمهالهم حتى يبلغ الأمير طليطلة ثم يلحقونه بها، وذلك بعد أن يحصدوا شيئاً من شعيرهم، لأن سنة 137هـ/754 - 755م كانت سنة رفاء. فصدقه يوسف ولم يتبادر إلى ذهنه أنه يخدعه، وسمح له بالرجوع إلى الموالي وحثهم على الإسراع والتهيؤ، وغادر هو إلى طليطلة. ولكن أبا عثمان وعبيد الله بن خالد لم يغادرا. بل بقيا لمقابلة الصميل، الذي كان ما يزال معسكراً في المنطقة. وقد طلب زعيما الموالي مقابلة الصميل على انفراد، وذكراه بأمر عبد الرحمن بن معاوية. فأجابهما الصميل: إنه لم يغفل ذلك بل فكر فيه ملياً، وكنتم أمره ولم يشاور فيه قريباً ولا بعيداً، وأعلمهما أنه يرى بأن عبد الرحمن حقيق بنصره، ومستحق لهذا الأمر، وسألهما أن يكتبتا له ويدعوانه للعبور إلى الأندلس. وأضاف بأن يوسف لن يستطيع التدخل، وإنه، أي الصميل، سوف يشير عليه بأن يزوج إحدى بناته من عبد الرحمن، وبهذا يصبح الأخير واحداً منهم، فإن فعل يوسف ذلك، استحق الشكر والتقدير من الجميع، وإن كره، هان عليهم إقناعه بالسيف. وقد فرح الزعيمان لسماع مثل هذا الجواب الشافي، وخرجا من عند الصميل، وهما يعتقدان بأنهما قد وفقا في خطتهما⁽¹³⁾.

(13) أخبار مجموعة، ص 70 - 72؛ فتح الأندلس، ص 48 - 49؛ انظر أيضاً: ابن عذاري: 43/2؛ المقرئ: 30/3.

